توظيف التراث في قصص علي السباعي

الدكتور مصطفى كمالجو
أستاذ مشارك، جامعة مازندران، قسم اللغة العربية وآدابها، بابلسر، إيران
kamaljoo@umz.ac.ir
الدكتور حميدرضا مشايخي
أستاذ مشارك، جامعة مازندران، قسم اللغة العربية وآدابها، بابلسر، إيران
mashayekhih@umz.ac.ir
حاتم حسن جاتول
طالب ماجستير، جامعة مازندران، قسم اللغة العربية وآدابها، بابلسر، إيران
hatim1974@gmail.com

The use of heritage in the stories of Ali al-Saba'i

Dr. Mustafa Kamaljo
Associate Professor, University of Mazandaran , Department of Arabic Language and Literature , Babolsar , Iran
Dr. Hamidreza Mashayikhi
Associate Professor, University of Mazandaran , Department of Arabic Language and Literature , Babolsar , Iran
Hatem Hasan Jatul
Master's student , University of Mazandaran , Department of Arabic Language and Literature , Babolsar , Iran

الملخص:

يتناول البحث قضية إشكالية وهي العلائقية القائمة بين التراث و السرد على تنوع مصادر الأول وغنى وتشعب الثاني، وتخير البحث عينة له الخطاب السردي القصصي للقاص على السباعي. يحاول البحث عبر اختيار نماذج وتناولها بالدراسة والتحليل توضيح أثر التراث في البناء السردي للخطاب السباعي القصصي، ودراسة التفاعل النصي في أتون المتن القصصي بين عناصر السرد من جهة، وعناصر التراث المستلهمة، من جهة أخرى، و آليات ذلك التفاعل، و النتائج المترتبة عنه وأهميته.

كما يدرس البحث مستعينا بالمنهج الوصفي التحليلي، الأبعاد الوظيفية للمواد التراثية الموظفة في الخطاب القصصي عينة البحث الدلالية منها والجمالية والرمزية، والتقنيات المتبعة في ذلك التوظيف الذي يفضي في كثير من الأحيان إلى تماهي النصوص الغائبة (النصوص من المصادر التراثية المتنوعة) والحاضرة (نصوص السباعي عينة البحث) بعد تسليط الضوء على تجليات التراث في الخطاب السردي القصصي للسباعي، وأنماط حضوره النصي، والتقنيات المتبعة في توظيف المواد التراثية في النصوص.

الكلمات المفتاحية: التراث، السرد، الخطاب القصصي، التناص.

Abstract:-

The research deals with a problematic issue, which is the relationship between tradition and al-Sard, based on the diversity of the first and rich sources and the branching of the second, and the selection of the research sample of the al-Khattab al-Sardi al-Qasasi al-Qas Ali al-Saba'i. It tries to search through the choice of models and methods by studying and analyzing the effect of tradition in the construction of the Al-Sardi's Al-Saba'i narrative text, and the study of the textual interaction between the elements of the Al-Sard, on the one hand, and the elements of the inspired tradition, on the other hand, and the mechanisms of that interaction, and the consequences and its importance.

It also studies the research, using the analytical descriptive method, the functional dimensions of the heritage materials used in the narrative discourse, such as the denotative, aesthetic, and symbolic research, and the techniques used in that use, which often leads to the combination of absent texts (the texts from the various heritage sources) and the present (the seven texts of the sample) The research) after highlighting the manifestations of heritage in Al-Saba'i's narrative speech, the patterns of textual presence, and the techniques used in the use of heritage materials in the texts.

Key words: Tradition , Al-Sard , Al-Khattab al-Tanasi , Al-Tannas .

علي السباعي:

هو علي عبد الحسين صالح السباعي. ولقبه السباعي إنما هو نسبة إلى عشيرة السباعيين التي تتبع عشائر طي. (كيطان،٢٠١٥: ٦- ٨)

أما عن عائلة والدته فقد كانت شيوعية، وكان خالي الأكبر رئيس اللجنة المحلية في الناصرية في سبعينيات القرن الماضي، في حين كانت عائلة والده عائلة متدينة، ويجمع حب العراق العائلتين على حد تعبير الكاتب.(السباعي،٢٠١٦: ص١٢)

لقد تجاذب هذين القطبين (عائلة أمه وعائلة أبيه) المتنافرين المتحدين في حب الوطن الكاتب " كان أخوالي يسحبونني صوبهم، ومثلهم يفعل أعمامي، كل واحد منهم يريدني أن أنتمي إليه". (السباعي،٢٠١٦: ١٢)

ولد في مدينة الناصرية، في جنوب العراق بتاريخ (٦/ ١٠/ ١٩٧٠). وهذا ما يذكره السباعي في شهاداته التي تحمل عنوان (شهرزاد قدري)، حيث يقول: "ولدتُ في مدينة الناصرية التي يقسمها نهر الفرات الأسمر نصفين متساويين، وهذا الأسمر الفرات دائب الحضور في قصصي، إذ أنفقت أمي من عمرها عذابا ليوم ونصف يوم في المخاض، وبمساعدة القابلة " لندا بشارة " التي جاءت إلى العراق ممرضة مع القوات البريطانية التي احتلت العراق عام أربعة عشر وتسعمائة بعد أن أشهرت إسلامها، وبنت جامعاً في الناصرية" (السباعي، ٢٠١٦: ١١)

ترعرع علي السباعي في محافظة ذي قار في مدينة الناصرية، وفيها حصل على تعليمه الابتدائي والمتوسط. وتخرج السباعي في كلية الهندسة، قسم الكهرباء في عام ١٩٩٣، وحصل على شهادة بكالوريوس في هندسة الكهرباء. (كيطان،٢٠١٥: ٦- ٨)

ولقد مثّل التراثين الديني والتاريخي أهم مصادر ثقافة علي السباعي، وبرز القرآن الكريم بوصفه المعين الأكثر تأثيراً في كتاباته، يستقي منه أهم رموزه القصصية، كما استلهم من التراث الشعبي والأدبي. واستثمر السباعي عناصر التراث بإتقان، وترك توقيعته الخاصة. ويؤكد الراوي حسين الهلالي أن علي السباعي يتكئ إلى الموروث بشكل متجدد، يحدوه باتجاه إنساني بعيد عن التعقيد، والصراع العبثي. (عارف، ٢٠١٢)

وقع السباعي في غرام القصة، ونذر نفسه لها، وأعلن عشقه هذا صراحة في مواطن عدة منها قوله:

" - أنا أكبر عاشق في الناصرية...

وقعتُ في غرام القصة التي طرقت باب قلبي ولم تغادره، فصرت أؤمن بأن القصة هي: الحب!.. أحببت القصة لأن العلاقة بين الإنسان واللغة هي كالعلاقة بين الرجل والمرأة، إنها علاقة حب.. أغرمت بالقصة...

نذرت نفسي لها." (السباعي،٢٠١٦: ١١)

وقد صرح السباعي غير مرة أن ناظم حكمت هو مثله الأعلى، ولم يني يردد رغبته بأن يكون مثله فينذر حياته للدفاع عن المظلومين والمهمشين والمقهورين. (كيطان،٢٠١٥: ٦- ٨)

أهم مؤلفاته:

- إيقاعات الزمن الراقص: وهي مجموعة قصصية صادرة عن: اتحاد الأدباء والكتاب العرب، سوريا، دمشق، ٢٠٠٢ م.
- زُليخاتُ يُوسف: مجموعة قصصية صادرة عن: دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، بغداد، ٢٠٠٥ م.
- احتراق مملكة الزاماما: صادرة عن دار الينابيع للنشر، سوريا، دمشق، ٢٠٠٩م، ونالت جائزة ناجي نعمان / بيروت / لبنان.
- صرخة قبل البكم: مجموعة قصصية، وقد حازت الجائزة الثالثة في الدورة الثالثة لمسابقة دبي الثقافية عام ٢٠٠٣/٢٠٠٤ م.
- بنات الخائبات: قصتان قصيرتان، صدرت عن دارميزوبوتاميا، العراق، بغداد، ٢٠١٤ م.
- مدونات أرملة جندي مجهول: مجموعة قصص قصيرة جداً، صدرت عن دار ميزوبوتاميا، العراق، بغداد، ٢٠١٤ م.

- شهرزاد قدري / شهادات /: صدرت عن دار صافي للنشر ولتوزيع، الولايات المتحدة الأمريكية، واشنطن،٢٠١٦.
- ألواحٌ... من وصايا الجد: مجموعة قصص قصيرة جداً، صدرت عن منشورات أحمد المالكي، وبالتعاون مع مكتبة المنار العلمية للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١٩ م.
- الحَبّوبيُّ ينظرُ مريديه: مجموعة قصصية، نالت جائزة ناجي نعمان / بيروت / لبنان / عام ٢٠٢٠ م.

مفهوم التراث لغة:

إن كلمة (التراث) مشتقة من مادة (ورث)، وتدور الدلالة اللغوية لكلمة التراث حول معان عدة يمكن إجمالها فيما يلي:

- ما يخلفه الرجل من المال والحسب:

إن كلمة (التراث) مشتقة من مادة (ورث)، ولفظة التراث وردت في المعاجم كمرادف للكلمات (الإرث - الورث - الميراث). وتنقل المعاجم عن ابن الأعرابي أن: الوَرث، والورث، والإراث، والوراث، والتراث واحد، ويقال توارثناه أي ورثه بعضنا عن بعض قدما. (الأزهري، ١٩٦٧: ١٧٧)

أما (الورث) و(الميراث) فخاصان بالمال، فيما يختص (الإرث) بالحسب. ووردت كلمة (الميراث) في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (آل عمران: ١٨٠)، وجاءت كلمة (تراث) في حديث الدعاء في قول رسول i :" **وإليك مآبي، ولك تراثي** ". (ابن منظور، ١٩٩٢: ١٩٩/٢)

ويقال ورث فلاناً أي جعله من ورثته، وأدخله في ماله على ورثته، و جعل ميراثه له. (أنيس وآخرون، ١٩٧٢: ٢٠٠)، والإرث هو ما يخلفه الرجل لورثته، ويقال أورثه الشيء أي أعقبه إياه. و أورث المطر النبات أي نعمه (الصالح؛ الأحمد،١٤٠١هـ : ٧٤٠)

توضح بعض المعاجم أن التاء في كلمة (تراث) أصلها واو (ورث)، ومعناها: ما يرثه ابن من أبيه من مال وحسب، أو حصول المتأخر على نصيب مادي أو معنوي من السابق

(والد أو قريب أو موص وما شابه ذلك). ووردت الكلمة في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾ (النمل:١٦) حاملة الدلالة عينها تقريبا التي أدتها كلمة (تراث) في قوله تعالى: ﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا﴾ (الفجر: ١٩) والمقصود هنا ما كان من شأن أهل الجاهلية من منع توريث النساء، وصغار الأولاد، وأكل نصيبهم من الورث، ذلك أنهم كانوا يجدون أن الميراث حكر على من يقاتل، ويحمي حوزة القوم، من هنا منحوا أنفسهم الحق في جمع تركة الميت من حلال أو حرام والإسراف في إنفاقها. (هارون،١٩٧٨: ٣- ٤)

التراث اصطلاحاً:

يعرف التراث في الاستعمال الاصطلاحي على أنه كل ما تركه السلف للخلف من الموروث الفكري والثقافي منه أكثر من المادي، بتعبير آخر هو حصيلة ما راكمته الأزمنة من التقاليد، والعادات، والتجارب، والخبرات، والعلوم، والفنون لشعب من الشعوب، ويشكل هذا الموروث ركيزة أساسية ينهض عليها البناء الاجتماعي والخلقي لذلك الشعب، إذ يعمق علاقاته بالأجيال الماضية الأصيلة التي أنتجت هذا التراث وعملت على إثرائه. (عبد النور، ١٩٨٦: ص١٣)

التراث وفق هذا المنظور هو إرث السلف الثقافي والفكري الذي أنتجه السلف وتركه للخلف، و تراكم مع مرور الزمن ليشكل بمجمله جزءا محوريا من المنظومة القيمية الاجتماعية لشعب من الشعوب، يحرص أفراده على تمثله، وتناقله عبر الأجيال.

ويعرف التراث بأنه كل ما ورثته الأمة، وتركته من إنتاج فكري حضاري سواء على مستوى الإنتاج العلمي، والأدبي منه على حد سواء، ومختلف الصور الحضارية التي تعكس واقع الأمم ومستقبلها. (سليمان، ١٩٨٧: ١٣).

التراث وفق هذا التعريف هو حصيلة الإنتاج العلمي والفكري والأدبي الذي يحدد ملامح أمة من الأمم، ويؤطر تجربتها الحضارية، ومساهمتها في الحضارة البشرية الماضي منها، والحاضر والمقبل منها على حد سواء.

كما يعرف التراث بأنه مجموعة المعارف، والمهارات، والقيم التي تتناقلها الأجيال. (آرون وآخرون: ٣٦٧).

وهذا المعنى الاصطلاحي يتردد في تعريفات كثيرة، وعلى تنوعها تتقاطع في فكرة مفادها أن التراث تركة السلف للخلف على تنوع تلك التركة.

ومما جاء في معجم المصطلحات العربية من تعريف التراث أنه ما خلفه السلف من آثار علمية، وآثار فنية، و آثار أدبية، ويعد من النفائس بالنسبة لتقاليد العصر الحاضر وروحه. (وهبة؛ المهندس، ١٩٨٤: ٩٣).

من هنا يكون مصطلح التراث مصطلحا شموليا يطلق على عالم متداخل يندمج فيه الموروث الحضاري والبقايا السلوكية والقولية التي بقيت عبر تاريخ أمة من الأمم. (خورشيد، ١٩٩٢: ٢١).

أنواع التراث: ينقسم التراث إلى قسمين رئيسين التراث المادي والتراث المعنوي

١-التراث المادي

والتراث المادي - تبعاً للاصطلاح - يتمثل في مجموعة من وسائل تقنية، دافع اختراعها في المقام الأول هو تطوير وسائل الحياة المعيشية للإنسان، وإتاحة الرفاهية، والأمن، والراحة، والاستقرار، وبذلك تصبح مطرقة حجرية والمصنع، ومغارة للجوء في عصر ما قبل التاريخ، وناطحات سحاب في العصر الحديث أمراً واحداً على اختلاف هيئته فالجوهر واحد وهو تطوير وسائل الحياة، بغية تحسين ظروف معيشة الإنسان، ووسائل تكيفه مع العالم والبيئة من حوله. (حشلاف، ١٩٨٤: ١٢).

٢-التراث المعنوي

يتمثل التراث المعنوي في الصور الفكرية، بتعبير آخر يتمثل التراث المعنوي في الصور التي رسمت في ذهن الإنسان لحظة مواجهته لغز الوجود، في سعي دؤوب لفك طلاسمه وفهمه على تباين مراحل الحياة عبر التاريخ البشري، ويتعدد التراث المعنوي ويتنوع بتعدد الأمم والشعوب والحضارات وتنوعها. والتراث المعنوي أنواع منها: التراث الشعبي، والتراث الديني، والتراث التاريخي، والتراث الأدبي، والتراث اللغوي، والتراث العلمي، ولكل نوع خصائصه المميزة. (بدير، د.ت: ٥١)

التراث - في جوهره إذاً- إنما هو ما تركه السلف لخلفه مادياً ومعنوياً، على مستوى

الحضارة المادي وعلى مستواها الثقافي، ويتنوع التراث داخل هذين الفرعين الرئيسين (المادي والمعنوي)، ولكل نوع خصوصيته، ومزاياه التي ترسم ملامحه وحدوده.

عناصر التراث: يمكننا إجمال عناصر التراث الوطني لأمة ما فيما يلي

١-العادات والتقاليد

تمثل العادات والتقاليد نظاماً متكاملاً من الأفعال، والأعمال، وأشكال السلوك التي نشأت لتحقيق أهداف ترتبط بظواهر سلوكية تساهم في تنظيم حياة المجتمع والأفراد، وتختلف مجالات العادات والتقاليد، فمنها ما هو في اللباس، ومنها ما هو في الطعام، ومنها ما يكون في الألعاب. وتختلف العادات والتقاليد بين مجتمع وآخر؛ كما أنها تعكس جملة التحولات والتغيرات الحضارية التي عرفها مجتمع ما، كما تمثل أبرز أسس بناء شخصية الأفراد، على اعتبارها منوطة بالبيئة المقام الأول.

٢-الحرف والصناعات التقليدية

وتشمل التراث المهني الذي تتناقله الأجيال جيلاً بعد جيل، ويساهم في إكساب الأجيال المتعاقبة المهارات اليدوية، والمهنية للحرف والصناعات التقليدية (قاسمي،٢٠١٦)، وتعد الحرف والصناعات التقليدية من الرموز الوطنية المنوطة بالهوية الثقافية والحضارية للشعوب، (الهياجي،٢٠٢٠).

٣- الفنون والأدب الشعبي

تضم الفنون والآداب المتوارثة عبر الأجيال، مثالها:

- الرقصات: وهي حركات منظمة تتماهى مع ترتيب إيقاعي محدد، يتباين بتباين الشعوب.
- الأغاني الشعبية: تتميز بكلامها المعبر، واللحن الراقي، والأداء الجميل، وفي غالبيتها تتعلق هذه الأغاني بمناسبات معينة سعيدة أو حزينة، تترجم الأوضاع الاجتماعية، أو الاقتصادية، أو السياسية للشعوب.
- الأمثال الشعبية: تعد إحدى صور الأدب الشعبي، وتتميز بكونها لفظية، محملة بالحكمة، والقيم الاجتماعية، والتربوية الفاضلة. (قاسمي،٢٠١٦).

أهمية البحث

يستمد البحث أهميته من نقاط عدة لعل أبرزها:

١. أهمية التراث ومنزلته الأثيرة في حياة الحضارات البشرية بوصفه إرث الأجداد للأجيال اللاحقة، وخلاصة تجارب الأسلاف، وتكثيف لرحلتهم في الوجود، وبصمتهم في الحضارة الإنسانية.

٢. إشكالية إنتاج على السباعي الأدبي النابعة من تأسيسه لمشروعه القصصي الخاص، وتركه أثره العميق، وبصمته الخاصة.

٣. أهمية عينة البحث التي هي قصص الكاتب على السباعي، ومكانتها في الساحة الأدبية والنقدية العراقية منها على وجه الخصوص.

٤. طبيعة الطرح والتناول المختلفة.

جماليات توظيف التراث في قصص على السباعي وفاعليته السردية:

إن الأثر الجمالي لأي نص إبداعي أيا كان نوعه هو أكثر ما يترسخ في ذهن القارئ، وفي أعماق نفسه بعد انتهاء تجربة القراءة، وهو ما يجعل تلك التجربة ممتعة وشائقة. فمن أين يتأتى للنصوص الإبداعي التأثير الجمالي؟

في الواقع إنّ الأثر الجمالي للنصوص الإباعية الأبية إنّما يتوفر لها بفضل جملة صفات يقترن تحقق الأثر الجمالي بتوافره في النص الأدبي الإبداعي، وهي: الصفاء، والنقاء، والبهاء؛ والجودة، والإتقان، والوضوح، والدقة في الدلالة، والاختيار، وتنقية النص من أي لفظ يلحق أذى بالأساليب اللغوية ، ومتابعة ذلك تحسيناً وتزييناً، ليفضي هذا العمل الدؤوب إلى إنتاج النصّ في وحدة كلية متماسكة الأجزاء، لا ينقصه العذوبة والرقة، بعيد عن التقيد، والغموض، والهشاشة، والتنافر، وكأنّه قطعة نسيج حَبِرة دقيقة الصنع، ناعمة الملمس، قوية في تأثيرها، لديها القدرة على إثارة الانفعالات، والعواطف، والأحاسيس والفكر في آن معا. (تليمة، ١٩٨٧: ٥٨)

الأثر الجمالي لتوظيف التراث:

لتوضيح الأثر الجمالي لتوظيف التراث في الخطاب السردي للسباعي كان لابد من

تقفي الجماليات المتحققة من توظيف الثيمات التراثية الدينية منها، والتاريخية، والشعبية في السياقات النصية لقصص السباعي، وتفنيدها عبر اختيار نماذج وتحليلها.

١ـ جماليات توظيف التراث الديني

لابد قبل الولوج في دراسة جماليات توظيف التراث بأشكاله وفاعليته النصية من الإشارة إلى أن التوظيف بوصفه مفهوماً مستقلاً إنما هو نوع من أنواع التناص يتحقق بصورة قصدية وواعية، يستثمر فيه الكاتب موارد التراث، بغرض التعبير عن رؤى، وأفكار معاصرة، وحقيقة لا يعد توظيف التراث ناجحاً وناضجاً إن لم تحمل الثيمات التراثية أبعاداً معاصرة. وتوظيف التراث إنما هو عملية مزج بين الماضي والحاضر في محاولة من الكاتب لتأسيس زمن ثالث يصعب تحديده، هو زمن الحقيقة في فضاء لا يشمله التغيير. (المخلف،٢٠٠٢: ٤١)

من هنا يكون توظيف التراث الديني نوعا من التناص بدوره، والتناص الديني إنما هو تداخل نصوص دينية وقع عليها الاختيار بعينها، وذلك عبر الاقتباس أو التضمين من القرآن الكريم، أو الحديث الشريف، أو الخطب، أو الأخبار الدينية مع النص الأصلي للرواية، بحيث تنسجم هذه النصوص مع السياق الروائي، وتؤدي مهاماً متنوعة، وتحقق أغراضاً فكرية و فنية. (الزعبي،٢٠٠٠:٣٧)

لايفوت السباعي استثمار هذا النوع من التوظيف نظرا لميزاته العديدة والشمولية، و لثرائه، وأهمية طاقاته التعبيرية والتأثيرية التي تغني بدورها النص التي توظف فيه، وتدخل في بنائه. ويكثر توظيف هذا النمط من التراث لدى السباعي في مدوناته موضوع البحث، وتتنوع أشكال حضورها في النصوص بتنوع الغايات القصدية القبلية لاستحضارها. وهذا الحضور الملفت للتراث الديني يعكس عمق ترسخه في وعي الكاتب ولاوعيه.

ولعل أبرز شاهد نسوقه لتوظيف التراث الديني قصته الموسومة بعنوان (زليخات يوسف) حيث يبدأ التناص القرآني انطلاقا من العتبة السيميائية للعنوان، وهذا الحضور المكثف للقصص الديني المستمد من القرآني يتراوح بين التكثيف والتضمين المتمثل في العنوان، والتكثيف الذي تحمله الثيمات الجزئية للقصة المختارة من القرآن الكريم وهي قصة النبي يوسف a . بتعبير آخر يبدأ التناص مجملا مكثفا في العنوان، ويتناثر متوسعا في المتن السردي للقصة، وكل له وظائفه الجمالية والدلالية الثرية.

والجدير ذكره في هذا المقام أن العنوان (زليخات يوسف) الذي هو عنوان جزئي لإحدى القصص اختير ليكون عنوان المجموعة برمتها، ليحمل الكتاب كاملاً تناصاً قرآنياً منذ لحظة التلقي الأولى، هذا التناص يحيل مباشرة إلى قصة النبي يوسف في موطنها الأصلي الذي هو هنا سورة يوسف في القرآن الكريم.

في قصصه الموسومة بعنوان (زليخات يوسف) يحضر النص الديني بشكل غير مباشر، وهذا أحد أنماط حضور التناص وأنواعه، ونحن نعلم أن التناص ينقسم إلى: التناص المباشر، والتناص غير المباشر. أما المباشر فهو اقتباس النصوص بحرفيتها، والتناص غير المباشر فينهض على الإيحاء، والتلميح بما يحيل على النص السابق في النص الحاضر. (الزغبي،٢٠٠٠).

زليخات يوسف هي ثيمة جزئية استلّت من قصة النبي يوسف a التي تحدث عنها القرآن الكريم في سورة يوسف، وزليخة هي زوجة عزيز مصر، وهنا كثف الكاتب القصة برمتها في كلمتين (زليخات يوسف) بنسب الزليخات إلى يوسف مع شيء من التغيير تمثل في جمع زليخة (زليخات) إلى جانب نسبها إلى يوسف a (زليخات يوسف)، وظل هذا التركيب يحيل إلى النص الأصل الذي اقتطع منه، ومشعاً بطاقات إيحائية ضاعفت قدرته التأثيرية، وجمالياته.

تكثف الثيمة الجزئية حكاية النبي يوسف a مع امرأة العزيز التي حدثنا عنها القرآن الكريم، ولمعرفة النص الأم الذي بترت منه الثيمة والتي تستمر بالإحالة إليه نورد قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ * وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ * وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ * فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ * يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ * وَقَالَ نِسْوَةٌ

فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ * قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾.

لقد انضوت القصة برمتها في تركيب مكون من كلمتين، من هنا نتبين القدرة الإيحائية التي تمتع بها التناص الموظف في القصص، بل واختير ليكون عتبتها النصية؛ فالعنوان منذ لحظة تلقيه الأولى أحال القارئ إلى النص الأم في القرآن الكريم، واختزل القصة، وضمنها في الإيحاءات، والدوائر الدلالية التي تفتحت حول التركيب الحاضر في النص.

من هنا أدى التراث الديني المستحضر مهاما جمالية، ودلالية؛ أما الجمال فجاء من جاذبيتها لشدة ارتباطها بالنص الأصل، وموقعه الأثير في نفوس القراء، ومكانته المحاطة بهالة من القدسية مما يعمق أثرها، ويضاعفه. وأما المهام الدلالية فكان أبرزها تكثيف دلالة النص الأصل واختزالها، واستحضارها إلى ذهن القارئ، باستحضار قصة امرأة العزيز مع النبي يوسف a ، ومراودتها له، ومقاومته شرك الشيطان، وخوفه من ربه الذي أنقذه من السقوط في المعصية، ليكون الصراع بين امرأة العزيز ويوسف a انعكاساً لصراع النفس البشرية مع شهواتها بصورة عامة، وأما التقي والصالح فهو وحده من يتمكن من مغالبة الشيطان والفوز برضى الله عز وجل، وهزيمة مكائد النفس وهواها عبر التمسك بالإيمان بالله عز وجل، وخشيته، والسعي لنيل رضاه وجنته.

بعد الإجمال والتكثيف الذي حمله العنوان الرئيسي للمجموعة القصصية، والعنوان الجزئي لقصة (زليخات يوسف) ينتقل بنا القاص إلى شيء من التفصيل المتمثل في بعثرة ثيمات القصة المستوحاة من القص القرآني، واستثمارها بطرق متنوعة تناسب الغرض الدلالي أو الجمالي أو كليهما معا الذي يريد الكاتب منها أن تؤديه.

إن النص القرآني يمتاز بلغة فصيحة، و أسلوب رفيع، ويضم مجموعة من القصص في نسيج تكوينه الداخلي، وقد تكون قريبة دلالياً إلى أحداث القصة. (مصطفى،٢٠١٦: ٢٠٥)، وتتقاطع مع مضامينها، فتغري الكاتب باستثمارها.

وفيما يلي نوضح حضور ثيمات القصة القرآنية في المتن السردي لقصة (زليخات يوسف) وأشكال هذا الحضور، وطرق استثماره، لبيان جمالية توظيفها وفاعليتها السردية في النص:

مثال ١: مما جاء في القصة الموسومة بعنوان (زليخات يوسف): "الحبوبي بعبائته الكاكية يرتسم على ملامحه حزن أسمر يشغل حيز الصمت وسط الناصرية والناصرية فتاة التناقضات، زليخة التي التهمت تفاحة الخطيئة الأولى فتكومت بين خطي عرض ثلاثين واثنين وثلاثين. برزخان وهميان كنابين عاجيين للذئب الذي أكل يوسف. أهٍ يايوسف! زليخة مدينة وحيدة محاصرة رسمتها اصابع مبتور /وقطَعن أيديهن/ على خريطةٍ ورقها عذابات المحاصرين وقد اذهلتهم صيحات معلم تاريخ يضع حبل المشنقة على نفسه قائلا:

- سأشنق نفسي ولا ارى محاصرين لايستحقون الحياة!!!". (السباعي، ٢٠٠٥: ١٤٣)

تتناثر الثيمات الجزئية لقصة يوسف a ، وتحضر مبتورة من سياقها الأصل، ممزقة، مبعثرة، بعد تعرضها لعملية هدم وتفكيك قصدية ممنهجة، اختير منها الأجزاء الملائمة للسياق الجديد، وحملت بوظائف محددة، وتم إعادة تركيبها مع مواد المتن السردي الجديد، لتعرف حياة جديدة، مغايرة لحياتها في نصها الأصل، دون أن تفارقه بصورة كلية مطلقة، بل تستمر بالإحالة إليه، وتحضر الكثير من الدلالات من حياتها السابقة معها إلى موطنها الجديد، لتدمج مع دلالات السياق الجديد، فتخلق دلالات جديدة تؤديها بدقة وعناية.

٢-جماليات توظيف التراث التاريخي

يشكل التراث التاريخي أحد أبرز أشكال التراث الموظفة في خطاب السباعي القصصي؛ إذ يستثمر مواده في مواطن عديدة، محملا إياها وظائف متنوعة بتنوع السياقات النصية. وفيما يلي نوضح طرق استحضار التراث التاريخي، وجمالية توظيفه وفاعليته السردية عبر دراسة نماذج مختارة من قصصه.

مثال ١: من قصة إيقاعات الزمن الراقص:

"مازال الدكتور يلعلع بحماس:

- التاريخ المعاصر للعالم أصبح: الصراع بين القديم والجديد، البداوة والتكنولوجيا، اللامألوف والمألوف.

ولم يتبدل الوضع إلا بالحرب التكنولوجية. فالتكنولوجيا تسخرها القوة العظمى للهيمنة على العالم، وفرض النظام الرأسمالي رغم انتهاء الصراع الأيديولوجي بين الماركسية والليبرالية. أصبح الوضع في إطار اقتصادي بحت، عجزت الدول النامية عن استثمار التكنولوجيا التي أصبحت سلاحاً لحل معظم المشاكل في العالم -هنا- انهار التوازن والعالم يرقص على إيقاعات انهيار دقائق ساعة البلدان النامية.

دكتورنا المحاضر يبدو كنابليون الخاسر في واترلو، أستعيد لحظات العشق، الصخب، والموسيقى... أشعر بتدفق دمي وهو يصعد إلى أرسي بازدياد صخب موسيقى الجاز، اهتزازت، انحناءات، التواءات أجساد الفتيات الغضة الناعمة- عندما تداعبها أصابع الراقصين تجد الحياة حلوة بكل ما فيها وسط النظام الدولي الجديد. يا ليت المحاضرة تنتهي." (السباعي،٢٠٠٢: ١٠-١١)

يمكن للقارئ أن يلحظ الثيمات التراثية التاريخية التي عمد الكاتب إلى توظيفها في المتن السردي بشكل مكثف، هذا الحضور المكثف كان من شأنه إحالة القارئ إلى السياق الواقعي التاريخي خارج النص، ليستحضر الوقائع والدلالات، ويربطها مع السياق النصي في محاولة للقبض على دلالة حضورها النصي.

٣- جماليات توظيف التراث الشعبي

يمثل التراث الشعبي أحد أهم روافد ثقافة الأمة، وعصارة المعرفة، وخلاصة خبرات الحياة وتجاربها المتوارثة عبر الأجيال، والتراث الشعبي مرجعية عامة، ينضوي تحتها فروع عديدة، تضم الأدب الشعبي، والموسيقى، والرقص، والعادات والتقاليد، والمعارف والحرف الشعبية..(طرشي،٢٠١٦: ١٤)

يتميز التراث الشعبي بطبيعة رمزية، وهذه الطبيعة - في الواقع- هي ما يغري الكتّاب، ويحملهم على استدعائه، واستثماره في كتاباتهم؛ فالتراث الشعبي غابة من الرموز المتشابكة التي تستحيل في يد المبدع المعاصر غرساً جديداً يحتضن تجارب فنية خاصة. (حمادي، ١٩٨٠: ٩١).

إن رمزية التراث بعامة، والشعبي منه بخاصة هي ما يغري الكتّاب، ويجذبهم إليه، فينكبون عليه، يستلهمون من منابعه، ويستعيرون من عناصره ما يوائم طبيعة تجاربهم

الخاصة، والرؤى المراد التعبير عنها، والوظائف التي يفترض أن تؤديها في النص الحاضر.

يبدو أن الكاتب السباعي لم يكن استثناء، وسقط هو الآخر في شباك هذا الإغراء، ليغرف من التراث الشعبي بدوره ما يروي عطش تجربته، ويستعير من مكوناته الثرية مواد لبنائه النصي في مواطن متعددة، وشواهد ذلك كثيرة، نذكر منها مايلي:

مثال١: القصة الموسومة بعنوان (زليخات يوسف):

يوظف الكاتب التراث الشعبي القصصي منه على وجه التحديد في مواطن عدة منها قوله: "رّخ الكسوف قذف انفاسه مضمّخة بسحابات دخانية سميكة العتمة جعلت مارد القمقم يستفيق داخل شرنقته النحاسية مهملا وسط جدرانها المجدورة بصدأ اخضر مستديم، يزعق المعلم محاصرا بانكساراته:

- لاشبيك ولا لبيك. فقط. الحصار بين يديك." (السباعي،٢٠٠٥: ١٤٦)

يتكرر هذا الحضور في قوله: " فينفلش الكسوف منحسراً وعلى مهل تشرق شمس عذراء وسط سماء غبارها بنفسج مجذور بغيمات رمادية تتمطى في عالم دخاني كقطط بلا رؤوس منذورة تنفق عمرها تجوب طرقات المدينة تنقّب في المزابل، تقلّب صفائح القمامة، تتعثر بشرنقة نحاسية مهملة، فاستيقظ المارد داخل قمقمه محاصراً بهم عتيق، نادى المعلم من مكمنه متآبداً:

- لا شبيك ولالبيك. الآن! حصار جديد بين يديك". (السباعي، ٢٠٠٥: ١٥٤)

إن فكرة المارد الذي يسكن القمقم منتشرة في الحكايات الشعبية التراثية الشفهي منها والكتابي، ولتوضيح طريقة توظيف الكاتب لهذه المادة التراثية الشعبية، نثبت بداية مثالاً من التراث الشعبي، لنستعرض لاحقا جمالية هذا التوظيف، وفاعليته السردية في النص الحاضر.

نحن نعلم أن الحكايات الشعبية تعج بحكايات الجني أو المارد الذي يخرج من قمقمه بعد أن يحرره شخص ما بطرق متباينة ومتعددة (دعك الإبريق السحري، تحريك الجرة التي يقبع فيها الجني محبوسا بانتظار من يحرره، وفتح الغطاء...الخ)، وكنوع من العرفان، يكافئ الجني الشخص الذي قام بتحريره، وإخراجه من قمقمه بأن يحقق له ثلاث أمنيات. وهذه الجزئية تتكرر في حكايات شعبية تراثية عديدة، وتوظف بطرق متباينة تبعاً لغايات القصة،

وتتفاعل مع بقية البنى السردية من شخوص وحبكة وأحداث بطرق متنوعة، وتختلف باختلاف تلك البنى والغايات من قصة إلى أخرى، وجوهرها يبقى واحداً.

نتائج البحث:

في ضوء ما سبق توصل البحث إلى نتائج نوجز أبرزها فيما يلي:

على الرغم من كثرة التعريفات للتراث غير أنها تلتقي في بؤرة جوهرية واحدة تشلها حقيقة التراث هو تركة الماضي للحاضر، المادية منها واللامادية، الحضارية الثقافية الحسية، واللامادية غير الحسية، مواده جملة معارف وعلوم وآداب وقيم وأنماط سلوكية وتقاليد وأوابد ومعالم وآثار كلها تصهر في أتون التراث بوصفه كائنا حيا، وروحا للماضي العريق تمنح حاضر الأمة ومستقبلها الحياة، وتحدد ملامح هوية الأمة الخاصة وبذلك يتوزع التراث تحت فرعين رئيسين مادي حسي، وآخر غير مادي معنوي، وتحت هذين البندين تنضوي أنواع التراث الفرعية، ولعل معيار الحسية الذي ينهض عليه هذا التصنيف هو الأكثر وضوحا وشمولية نظرا لإمكانية وقوع التباس في التصنيفات الأخرى، من هنا فنحن لا نجانب الصواب إن قلنا إن التراث أيا كان نوعه (تاريخي - ديني - ثقافي- شعبي - أسطوري..) يندرج تحت البندين الرئيسين، لتشكل بذلك هذه الأنواع أنواعا فرعية تدخل في جلباب النوعين الرئيسين الشموليين.

حيث يتسم التراثين المادي واللامادي على السواء بمسحة تاريخية تعكس العراقة والأصالة لشعب من الشعوب لكن الأول على الصعيد المادي المحسوس، أما الثاني فعلى الصعيد الفكري المعنوي غير من ثقافة ذلك الشعب وحضارته التي أسسها عبر التاريخ، وتركت خلفها آثارا تحكي قصة حضارتها وإنجازاتها، وتبقى إرثا حضاريا لأجيال الأمة في الحاضر والمستقبل.

هناك منظور خاص للتراث ينهض على تجريد العناصر التراثية من هالات القدسية، وتذويب جليد الجمود عن سطوحها، والغوص في أعماقها بغية مدها بحيوات جديدة في السياقات النصية المتنوعة بتنوع التجارب الفنية، وما تعالجه نصوصها من مواضيع وأساليبها المتبعة في تناول القضايا المطروحة. من هنا يتحرك التراث في العوالم النصية بصفته كائناً حياً

له خصوصيته، ليعكس صراعات الحياة في حتمية التغيير والتحول، وطبيعة التسارع والتمرد عبر تشكيلات حضارية غنية، تترك بصمتها في التاريخ الإنساني.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير مانبتديء به القرآن الكريم.

١. آرون، بول، معجم المصطلحات الأدبية، تر: محمد حمود، ط١، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

٢. الأزهري، أبو منصور محمد بن حمد (١٩٦٧)، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد على النجار؛ عبد الحليم النجار، القاهرة – مصر، دار المتاب العربي، ج١٥.

٣. أنيس، إبراهيم وآخرون (١٩٧٢)، المعجم الوسيط، القاهرة.

٤. بدير، حلمي (٢٠٠٧)، أثر الأدب الشعبي في الأدب الحديث، ط٧، الإسكندرية مصر، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر.

٥. تليمة، عبد المنعم (١٩٨٧)، مداخل إلى علم الجمال الأدبي، القاهرة، دار الثقافة.

٦. حمادي، صبري مسلم (١٩٨٢)، أثر التراث الشعبي في الرواية العراقية الحديثة، ط 9، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

٧. خورشيد، فاروق (١٩٩٢)، الموروث الشعبي، ط1، بيروت، لبنان، دار الشروق.

٨. سليمان، حسين محمد (١٩٨٧)، التراث العربي الإسلامي (دراسة تاريخية مقارنة)، ديوان المطبوعات الجامعية.

٩. الزعبي، أحمد، ٢٠٠٠، التناص نظرياً وتطبيقياً، ط2، مؤسسة عمون للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

١٠. السباعي، على (٢٠١٦)،شهرزاد قدري، دار صافي للترجمة والنشر والتوزيع، الولايات المتحدة الأمريكية.

١١. عارف، مصطفى لطيف، قراءة نقدية في مجموعة على السباعي (زليخات يوسف أنموذجا)، مؤسسة فراديس العراق الثقافية، موقع إلكتروني، بتاريخ ٢٠١٢/١٢/٣٠.

١٢. عبد النور، جبور (١٩٨٦)، المعجم الأدبي، بيروت – لبنان، دار العلم للملايين.

١٣. قاسمي، سليمة(٢٠١٦)، دور المدرسة في الحفاظ على التراث كهوية ثقافية لدى الناشئة، مجلة العلوم الإنسانية، ع ٦.

١٤. كيطان، حازم كامل، ٢٠١٥،على السباعي قاصاً، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة.

١٥. المخلف، حسن على (٢٠٠٢)، توظيف التراث في المسرح - دراسة تطبيقية في مسرح سعد الله ونوس-، ط١، دمشق، الأوائل للنشر والتوزيع.

١٦. مصطفى، المويقن (٢٠١٦)، تشكيل المكونات الروائية، سوريا، دار الحوار للنشر والتوزيع.

١٧. هارون، عبد السلام (١٩٨٧) ، التراث العربي، مصر ، دار المعارف.

١٨. الهياجي، ياسر هاشم عماد (٢٠١٦)، دور المنظمات الدولية الإقليمية في حماية التراث الثقافي وإدارته وتعزيزه، مجلة أدوماتو، ع ٣٤.

١٩.وهبة، مجدي؛ المهندس، كامل (١٩٨٤)، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، ط٢مكتبة لبنان.